





من المعروف في علم الحضارات القديمة أن حضارة سومر التي نشأت وازدهرت في جنوب بلاد ما بين النهرين ( جنوب العراق حاليا ) منذ حوالي ٥٠٠٠ سنة سابقة كانت بمثابة اللبنة الأولى التي ارتكز عليها صرح الحضارة الانسانية بمفهومها الحقيقي ، ذلك المفهوم الذي يقتضى توفر العناصر الرئيسية التالية لتعريف الحضارة :

- ١ - تطوير واستعمال الكتابه .
- ٢ - تكوين وتطور نظام الدولة والقضاء .
- ٣ - تطوير العمارة الخالد .
- ٤ - وجود المدنية بتركيبها المعقد .
- ٥ - تطوير الفنون الابداعية من رسم ونحت وتكوين الخ .

ولا غرو في القول بأن حضارة سومر قد تكاملت فيها تلك العناصر بشكل لم يسبق له نظير في تاريخ الانسان القديم .



ومن المعروف أيضا أن حضارة سومر قد استمدت قواعدها الأساسية من رواسب الثقافات الانسانية السابقة لها زمنا في اطار المنطقة الجغرافية المذكورة اعلاه والتي أطلق عليها اسم « سومر » وكذلك في المناطق المحيطة بها شرقا وشمالا وجنوبا . والاكثر من ذلك ان علم الآثار قد توصل الى تحديد العنصر الثقافي الرئيسي الذي استقت منه حضارة سومر مواردها الأساسية . وذلك العنصر هو ما سمي بثقافة عصر العبيد ( بضم العين ) - نسبة الى الموقع الاثري الذي اكتشفت عليه آثار هذا العصر لأول مرة ، ويقع غربي مدينة الناصرية بالعراق . ويرجع تاريخ هذا العصر الى حوالي ٧٠٠٠ سنة سابقة . واهم ما يميز هذا العصر هو الفخار الملون ذو الزخارف الهندسية المعروف بفخار العبيد .

ولقد اجتمع رأي علماء الآثار على ان ثقافة العبيد قد اثرت تأثيرا مباشرا على مقومات حضارة سومر ، حيث ان فترة العبيد قد امتدت زمنا من ٧٠٠٠ الى حوالي ٥٥٠٠ سنة سابقة ، ثم تلتها الثقافة المعروفة بالورقاء التي تعتبر قاعدة الحضارة السومرية .

ولكن علماء الآثار حتى وقت قريب لم يتوصلوا الى معرفة اصل ومكان نشأة ثقافة العبيد، فقد اختلف الرأي حول ذلك حيث نسبها بعض العلماء الى اصل في شرق بلاد ما بين النهرين ( ايران حاليا ) وتمسك فريق آخر بنسبتها الى المنطقة الشماليه ( بلاد الاشوريين فيما بعد ) . والغريب في الامر انه ما من عالم او دارس لاصول الحضارات كان قد شك في ان يكون الجنوب ( شرق جزيرة العرب ) مصدرا لثقافة العبيد . وقد لا يبدو ذلك بالغريب عند الكثير من علماء الغرب حيث ان التفكير التاريخي قد دأب منذ زمن طويل على اعتبار ان الجزيرة العربية لم تكن لتستقطب مراكز ثقافيه وحضارية كبيرة نظرا لانعدام المقومات الطبيعية لتلك الظواهر فيها . وهذا الرأي قد ثبت بطلانه مؤخرا نتيجة للدراسات العلمية التي اكدت بان مناخ الجزيرة العربية قد دخلت عليه تغييرات



كبيرة منذ انحسار العصر الجليدي - الأخير - أي قبل عشرة آلاف سنة  
سابقة . وبالطبعي أصبح من المحتمل بل من المؤكد تصور مقومات طبيعية  
عكس ما هو عليه الحال في الوقت الحاضر أو قبل ألفي سنة سابقة .

والأكثر أهمية من كل ذلك أن الاكتشافات العلمية التي قام بها  
الكاتب في المنطقة الشرقية من المملكة في عام ١٣٩٢ هـ ( انظر التفاصيل )  
قد أثبتت بدون أدنى شك وجود عناصر كثيفة من ثقافة  
عصر العبيد وفي أماكن متفرقة من المنطقة جنوبا وشمالا . بالإضافة ،  
فقد أثبت البحث أن ثقافة العبيد لم تكن دخيلة على المنطقة بل أنها نشأت  
من جراء تطور طبيعي سبقته مراحل عديدة خلال العصر الحجري الحديث  
الذي لم يكتشف استعمال الفخار فيه بعد . وفيما يلي نستعرض النقاط  
الرئيسية لأسباب ونتائج وأبعاد هذه الاكتشافات :

#### أسباب البحث :

خلال العشر سنوات الأخيرة استقطبت الجزيرة  
العربية - خصوصا الجزء الشرقي منها ، بما في ذلك ساحل الخليج  
العربي - استقطبت انظار علماء الآثار عامة نتيجة للأبحاث التي قامت  
بها بعثة علمية دانمركية في أجزاء مختلفة من عمان وأبو ظبي وقطر  
والبحرين والكويت . وأهم ما لفت انظار المجتمع العلمي هو الكشف  
عن عاصمة البحرين القديمة - التي كانت تعرف سابقا بمركز حضارة  
«ديملون» . وجاء ذكر ديملون هذه في نصوص الكتاب السومريه منذ  
٤٥٠٠ سنة سابقة تقريبا ، واشتهر ذكرها في مجال التجارة الدولية التي  
قامت حينذاك وبعده بين مراكز الحضارة في سومر وبلاد نهر السند في  
باكستان العاليه . وكان الخليج العربي أقدم بحر داخلي لعب دورا هاما  
في الاتصالات التجارية بين الحضارات القديمة . لذلك فعندما برزت  
نتائج التنقيبات عن ديملون في جزيرة البحرين تأكدت مجددا « تلك  
الأهمية » البارزة التي أولتها كتابات السومريين القدماء لهذه المنطقة .



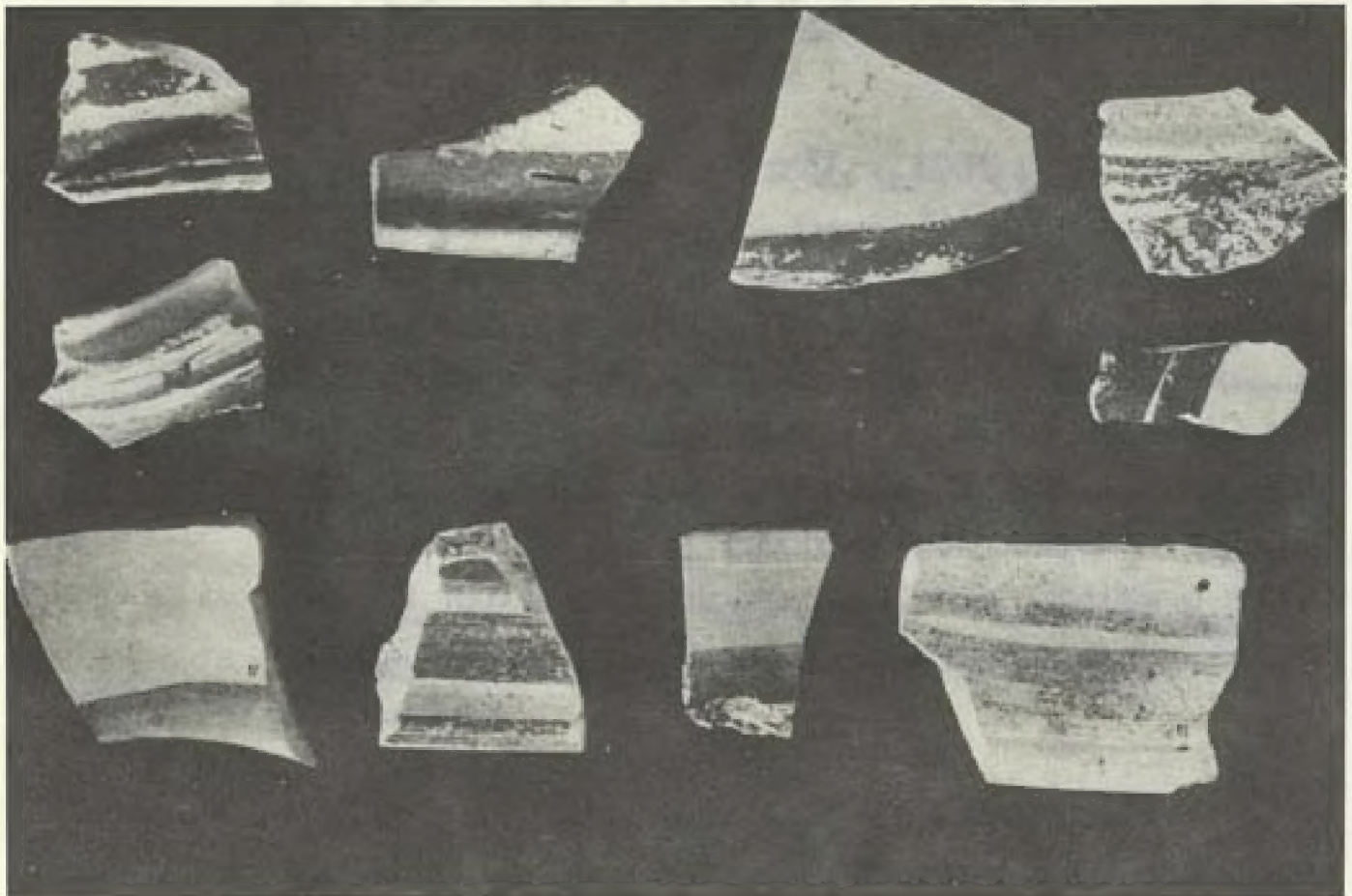
فقد اكتشف العلماء الدانمركيون آثار مدينة واسعة بها من العمارة والبناء العظيم ما لم يكن يتحقق الا في اطار حضارة راسخه . لذا فقد كان من البديهي أن ينظر أهل العلم في الآثار مجددا في احتمال وجود آثار حضاريه أعظم وأقدم زمنا على أرض الجزيرة العربية نفسها . أضف الى ذلك ما أشرنا اليه أعلاه من الاكتشافات الحديثة العهد عن تطور المناخ والتغيرات السطحية على الأرض التي تلت انحسار العصر الجليدي الأخير .

كل هذه الاسباب كانت دافعا قويا للبحث في شرق المملكة عن آثار سابقه لعصر ديملون وربما فيما يتصل بالثقافات القديمة التي سبقت سومر - أي مثل ثقافة العبيد . ومما أضاف الى دوافع البحث اكتشاف قطع فخاريه على سطوح بعض المواقع في واحتي الاحساء والقطيف وذلك من قبل أفراد لم يعرفواكنها وأهميتها ، وعندما وقعت بين يدي المختصين تبين أن هذه القطع هي في الحقيقة نموذج أصيل للفخار المعروف بفخار العبيد الذي ترجع قيمته التاريخيه الى حوالي ٧٠٠٠ سنة سابقه كما ذكرنا أعلاه ( انظر الصورة ) .

وبناء على ماسبق ، فقد قام الكاتب بإجراء بحث ميداني تضمن مسح كافة أرجاء المنطقة الشرقيه من المملكة بحثا عن مواقع قديمة تعود الى ما قبل تاريخ نشوء الحضارات ، ثم القيام ببعض التنقيبات الاستكشافية لمعرفة الرواسب الاثرية فيها .

وقد حقق البحث نجاحا كبيرا حيث تم اكتشاف حوالي ٤٠ موقعا برزت فيها آثار كثيفة تعود الى أكثر من سبعة آلاف سنة سابقه وتتخللها نماذج عديدة من ثقافة العبيد . وتنتشر تلك المواقع من واحة يبرين في أقصى جنوب المنطقة الشرقيه الى أقصى الشمال على ساحل الخليج دون حدود الكويت ( انظر الخريطة ) .





● نماذج لقطع فخارية من عصر العبيد

### أهم نتائج الكشف :

١ - تم الوقوف على عدد كبير من مواقع الآثار التي تعود إلى العصر الحجري الأعلى وذلك في المنطقة المحيطة بواحة يبرين ( ٣٠٠ كم جنوب غرب الهفوف ) . وتتصف هذه المواقع بكونها مستوطنات سطحية عاصرت حياة اقوام كانت معيشتهم تعتمد على الصيد وجمع النباتات البرية . وأهم تلك المواقع : موقع جبل درعه ، وموقع الضبطية . وبالنسبة



للزمن التقريبي لتاريخ هذه المواقع فهو من حوالي ٢٠٠٠ سنة  
سابقه وحتى ١٠٠٠ سنة سابقه .

٢ - في واحات الاحساء نفسها تم اكتشاف موقع أثري هام بالقرب من  
قرية المراح - شمال الهفوف - ويسمى هذا الموقع بعين قناص .  
اهمية هذا الموقع تكمن في انه جمع بين آثار تعود الى العصر الحجري  
المذكور اعلاه - بالاضافه الى آثار من عصر العبيد المعروف بالفخار  
الملون - انظر الصورة - وتؤكد عند التنقيب ان آثار عصر العبيد  
قد تراكمت فوق آثار العصر الحجري ، ويبلغ عمق التراكمات هذه  
أكثر من خمسة أمتار تصل الى قاع عميق كان فيما مضى يمثل فتحة  
لعين من الماء - كما يدل على ذلك الاسم الحالي للموقع . وباجراء  
التحليل العلمية لتحديد الزمن عن طريق الكاربون المشع على البقايا  
العضوية من الموقع تبين أن عمر الموقع يصل الى حوالي ٩٠٠٠ سنة  
سابقه .

٣ - اكتشاف موقعين كبيرين يعود زمنهما لفترة العبيد بصفة رئيسية .  
يقع أحدهما جنوب مدينة الجبيل على الساحل ( موقع الدوسرية )  
والآخر يقع حوالي ٦٠ كم الى الشمال ، أيضا على الساحل ( موقع  
أبو خميس ) . وبتحديد أزمان هذين الموقعين بالطريقة العلمية  
المشار اليها أعلاه تبين أن موقع الدوسرية أقدم زمنا ببضع قرون  
من موقع أبو خميس ، حيث أن الأول يعود الى الفترة بين ٤٩٠٠ -  
٤٣٠٠ سنة سابقه في حين أن الثاني امتد السكن فيه بين حوالي  
٤١٠٠ - ٣٨٠٠ سنة سابقه ، ومن الجدير بالذكر ان هذه الفترات  
الزمنية تمثل ما هو معروف بالعصر الثاني والثالث من ثقافة العبيد  
في بلاد ما بين الرافدين . وان الاختلاف الزمني والجغرافي بين هذين  
الموقعين اذا ما قيس بموقع عين قناص في الاحساء ليوحى بأن هناك  
امتدادا زمنيا وجغرافيا لوجود ثقافة العبيد في شرق الجزيرة العربية  
ومما يؤكد أن الثقافة ذاتها من المحتمل أن تكون قد نشأت هناك ثم  
انتشرت الى بلاد ما بين الرافدين .



100. 100  
100. 100





٤ - في جزيرة تاروت التي تلي ساحل مدينة القطيف - وعلى التل الذي يتوسط مدينة تاروت نفسها تم اكتشاف آثار قديمة تعود الى الفترات التي تلت عصر العبيد - وهي التي يطلق عليها عصر جمدت نصر وعصور فجر السلالات القديمة وتمتد زمنا من حوالي ٥٥٠٠ - ٣٠٠٠ سنة سابقة ، وهذه الآثار تشكل وحدة مترابطة تماما مع الآثار التي وجدت بالعراق والتي تعود الى عصر الحضارة السومرية ومن هذه الآثار تمثال ضخيم متقن الصنع وجد في أسفل التل المشار اليه اعلاه ويمثل طرازا سومريا بحتا ، غير ذلك هناك آثار الاواني وادوات المصنوعة من الحجر الصابوني الأخضر اللون والمعروفة بسهولة تكوين الادوات منه ، وقد اشتهر هذا النوع من الحجر ابان العصر السومري حيث كانت تنقش عليه رسوم هندسية وطبيعية بديعة وانتشر استعماله في كافة ارجاء الشرق الاوسط القديم .

#### ابعاد نتائج البحث :

جميع هذه الدلائل التي ظهرت نتيجة للبحث والاكتشافات المنوه عنها اعلاه تشير الى حقيقة واضحة وهي ان شرق الجزيرة العربية قد ساهم مساهمة فعالة اولا في تكوين اللبنة الأساسية لثقافة العبيد ، وثانيا في نشأة وازدهار حضارة سومر في بلاد ما بين النهرين ، تلك الحضارة التي تعتبر بحق رائدة الحضارة الانسانية بمفهومها الاساسي . وان ما تم اكتشافه حتى الآن عن الدور الذي لعبه شرق الجزيرة ليعتبر نقطة بداية فقط لما سيتلو من ابحاث واكتشافات كثيرة التي ستجلى باذن الله غبار النسيان وعدم الاهتمام اللذين اكتنفا موضوع التاريخ القديم لجزيرة العرب عامة .

د . عبد الله حسن مصري



